الصهيوني. وقد تمكنوا، أخيراً، من لعب دور بارز، وعقدوا المؤتمر العام للعمال اليهود في فلسطين العام ١٩٢٠، وتطرقوا فيه الى مناقشة الشؤون العمالية، والى كافة أوجه النشاط الصهيوني في فلسطين، كما ناقشوا تطلعاتهم وخططهم المستقبلية، باعتبار ان مهامهم لا تنحصر في الشؤون الثقافية، انما تمتد لتضم معظم نواحي «الوطن القومي» الذي كان ينبغي عليهم انشاؤه. وظهر هذا الاتجاه واضحاً في القرارات التي اتخذها المؤتمر، عندما اعلن عن اقامة نقابة عامة للعمال عرفت باسم «الهستدروت»، والتي وضعت لها برامج واهدافاً اتسعت نشاطاتها تدريجياً متوخية توفير فرص العمل للعمال بغية الثبات في الارض التي قدموا اليها من مناطق مختلفة، ولتشجيع الهجرة باعتبار ان الهستدروت هي «منظمة محققي الصهيونية في حياتهم وعملهم» ـ على حد تعبير بن ـ غوريون.

ويكرس الباحث الجزء الاخير من هذا الفصل للمستوطنات، اصولها وتواريخها، ومن ثم معاينة التجربة كلها، على ضوء الوقائع والتصورات التي تبنتها الحركات السياسية الصهيونية. وكذلك عمليات شراء الاراضي التي تمت بين المستوطنين وكبار الاقطاعيين أو الملاكين القاطنين خارج فلسطين. يومها، كان الصهيونيون تمكنوا من استغلال الثغرات العديدة في قوانين الاراضي العثمانية الصادرة بهذا الخصوص. كما استغلوا نفوذ مؤيديهم في الدوائر الحكومية، على أرضية المكانة الخاصة التي منحت لهم في صك الانتداب لتعديل قوانين الاراضي تلك أو التأثير في سن الجديد منها بما يخدم مصالحهم ويسهّل عمليات استملاكهم للاراضي. كل ذلك تم بمساعدة الحكومة البريطانية حتى تمكن الصهيونيون، مع نهاية فترة الهجرة الثالثة سنة ١٩٢٣، من اقامة ٦٤ مستوطنة.

سنوات الهدوء

الفصل الثالث يأخذ عنوان «ملامح كيان يهودي جديد في فلسطين ١٩٢٤ ـ ١٩٢٨». وهي السنوات التي تميزت بركودها السياسي، بالقياس مع الفترة التي سبقتها او التي تلتها، الامر الذي ساعد اليهود في تدعيم اسس كيانهم المستقل في فلسطين، واقامة مختلف المؤسسات الجديدة. فخلال هذه الفترة، لم تقع في فلسطين اي «اضطرابات» او حوادث «اخلال بالامن» بحسب تعبير العدو، ما عدا ثلاثة اضرابات عامة لم تؤثر في سير الحياة الطبيعي. اول هذه الاضرابات ـ كما يقدمها الكتاب ـ هو الاضراب الذي وقع في آذار (مارس) ١٩٢٥، احتجاجاً على زيارة بلفور لفلسطين للاشتراك في احتفالات افتتاح الجامعة العبرية في القدس. وكان الاحتجاج من العنف بحيث اجبر بلفور على مغادرة فلسطين حفاظاً على سلامته. والثاني حدث في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ذاته احتجاجاً على ممارسات سلطات الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان. اما الثالث، فقد نظم في آذار (مارس) ١٩٢٦، احتجاجاً على زيارة المندوب السامي الفرنسي في سوريا الى القدس. وبسبب من هذا الركود، بشكل عام، تم استبدال هربرت صموئيل كمندوب سام بالمارشال بلومر وحل قوة الشرطة البريطانية الخاصة. فيشرح المؤلف الاسباب السياسية التي ادت الى ذلك الركود، خاصة في ما يتعلق بالقوى والزعامات السياسية العربية، بعد ان جرى الامتناع عن عقد المؤتمر العربي الفلسطيني مدة خمس سنوات لاحقة. ثم يبحث في استمرار الهدوء وانقطاعه العام ١٩٢٦، يوم أظهر بعض المسؤولين البريطانيين رغبة في فتح حوار مع الزعماء الفلسطينيين لدراسة امكان تغيير الاوضاع. فعقدت عدة اجتماعات بين الاطراف وتبودلت المذكرات. فكان ذلك حافزاً لعقد المؤتمر الفلسطيني السابع وهو «الهيئة التي كانت، رغم نواقصها، تقود نضال عرب فلسطين السياسي وتدعي تمثيلهم» (ص ١٤٥)، وذلك في ظل استمرار استثمار رأس المال اليهودي وانشاء المزيد من المستوطنات (بلغت العام ١٩٢٨ تسعين مستوطنة)، وسيطرة اليهود على مواقع هامة في بعض القطاعات الاقتصادية بفضل الامتيازات التي منحتها لهم حكومة الانتداب، خاصة مشاريع توليد الكهرباء. ونتيجة ذلك ـ يرى الباحث ـ توجهت اكثرية اليهود الى السكن في المدن الفلسطينية الرئيسة الاربع، القدس ويافا وتل ـ ابيب وحيفا، التي ازداد سكان كل منها بشكل ملحوظ خلال هذه المرحلة. والنتيجة الرئيسة